المظلة

مسرحية

تأليف: يوسف بعلوج

رسوم وجرافيك: عبد الرحمن الصواف



المظلَّة

المظلة

مسرحية

يوسف بعلوج

غلاف: عبد الرحمن الصواف

الطبعة الأولى: مايو 2017



بعلوج، يوسف

المظلة، مسرحية

ط1 منشورات الربيع، القاهرة، مصر.

ردمك: 978-977-5221-59-9

رقم الإيداع(مصر): 2017/25100

WWW.ALRABIEPUBLICATIONS.Com

INFO@ALRABIEPUBLICATIONS.Com

MANSHURAT.ALRABIE@GMAIL.COM

002/01007552598



المظلة

يوسف بعلوج

مسرحية



إلى ملاك

ضل عن طريق البقاء في أبدية السماء

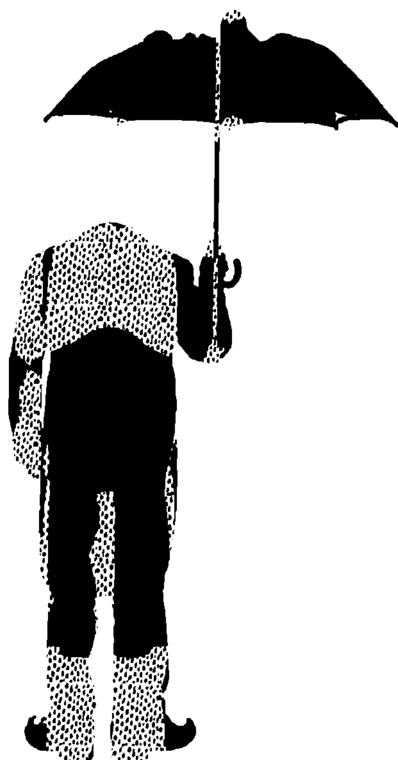
فتنزّل إلى الأرض

ليمسح عنها ما استطاع من الألم



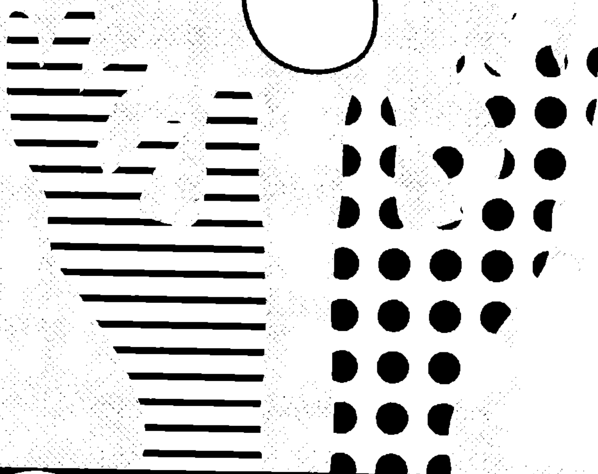
(تُضاء الخشبة تدريجيًّا، مُعلنةً عن وجود «عليّ» كهل أربعينيّ. يلبس بذلة أنيقة رغم اتساخها والانكماشات الكثيرة على نسيجها. شعره أشعث ووجهُه يُغطيه الرَّماد، يبدو كأنه خارج لتوه من معركة. يجلس القرفصاء في وسط الخشبة التي صمم ديكورها على شكل فضاء تظهر فيه أطلال لمدينة، بقايا لبنايات مُهدَّمة يتصاعد منها الدخان، تبدو كأنها مدينة تعرَّضت لتوِّها لقصف كثيف. يحتمي عليّ بمظلَّته المفتوحة من شيء مجهول. موسيقى خفيفة توحي بجوٍّ ربيعيٍّ هادئ ومُريح، يُطل عليٌّ برأسه حذرًا من تحت المظلة فينطلق صوت صاعقة مدوٍّ، يعود بسرعة للاحتماء بالمظلة فيختفي الصوت، يتكلم باستهزاء)


8



في كل مـرة يحـدث الأمـر ذاته، مع هذا يسـتغرب الجميـع كيـف أنـي أحمـي رأسي دومًـا بمظلـتي. غريـب أليـس كذلـك؟ هـذا الكـون لئيـم جـدًّا، أنـا فيـه حبـل يشـد دلـوًا مـن بـئر سـحيق، أبـذل جهـدًا لأرفعـه ومـع هـذا حينمـا أنتهـي مـن حملـه ينظـر النـاس إلى الفـراغ الـذي يفصلـه عـن الامتـلاء التـام ويقـع اللـوم عـلى رأسي.







(يضع عليّ يده على رأسه)

هـراء. محـض هـراء، من قـال إن رؤوسـنا محميَّة فهـو يتفـوَّه بابـن عـم الصـدق. مـاذا؟ أنـت لا تعـرف مـا هـو ابن عـم الصـدق؟ ادعـاؤك عدم معرفتـه دليـل عـلى أنـك تعرفـه جيـدًا، فابـن عـم الصـدق هـو الكـذب، وأنـت الآن تكـذب!

(يضـع يـده عـلى أذنـه كأنـه يسـتمع لصـوتٍ آتٍ مـن بعيـد)

مـاذا؟ مغفـل؟ آهـا... تعـترف بأنـك مغفـل؟ ألهـذا رأسـك غـير مَحمـيّ؟ تقـول إنـه محمـيّ؟ لا لا ليـس محميًّـا. قلـت لـك إنـه ليـس محميًّـا أبـدًا، فالطاقيـة الصوفيـة حليـف الـزكام منـذ الأزل. صدقـني سـيتسرب المـاء إلى رأسـك بسـهولة، أمـا المظلـة، فينكـسر عليهـا كبريـاء المطـر راكعًـا عنـد قدميـك.

(يتقدم بحذر)

جرب، هاك مظلتي.

(يمـدُّ عـليّ مظلَّتـه باتجـاه الجمهـور، فيسـمع صـوت مطـر مفاجـئ مـع زخـات إضـاءة متواصلـة، فيُعيدهـا بسرعـة إلى مـا فـوق رأسـه مرتعشًـا خوفًـا)

رأسي محميّ... محميٌّ تمامًا!

(تنطلـق أجـراسٌ بعيـدةٌ، مُشَـكِّلةً موسـيقى خفيفـة تتصاعـد تدريجيًّـا. يضـع عـليّ يـده عـلى أذنـه للاسـتماع، يتوقـف عـن الارتعـاش، يرتخـي تدريجيًّـا ثـم ينطلـق في التمايُـل ويتحـول تمايلـه إلى رقـص جـاز كلاسـيكي، ثـم يسـند مظلتـه عـلى الأرض ويجلـس تحتهـا)

هـذا جـرس الكنيسـة الوحيـدة الـتي بقيـت في هـذا الكـون الخـرب. صوتـه كصـوت الصواعـق

تمامًـا، لا أقصـد أنـه يشـبهه. أقصـد أنـي الوحيـد الـذي أسـمعه، فالبقيـة أو مـن تبقـى منهـم يدعـون أنهـم لا يسـمعون شيئًا، أمـا أنـا فيطربـني سـماعه حينمـا يـدق يـوم الأحـد معلنًا عـن القُـداس. هـل اليـوم أحـد؟ أظنـه اثنـين أو خميـس. لسـتُ متأكـدًا تمامًـا فالأيـام كلهـا تتشـابه، وحـتى صوت الجـرس لا يعـني أن اليوم أحـد، فأنـا أسـمعه متى مـا شـعرتُ أني بحاجة إلى سـماعه، يـأتي تمامًـا في لحظـة السـقوط. يتخلـل مسـامي بهـدوء ويضبـط إيقـاع قلـبي القلـق. **(يصمـت قليـلًا يغمـض عينيـه، ويصـدر صـوت أنفـاس مسـترخية، ثـم يـصرخ)** مـاذا أفعـل للبـشر إن كانـوا ضلـوا عـن طريـق الـرَّب، ولـم تعُـد أجـراس الكنيسـة تبعـث فيهـم الطمأنينـة؟ لـو اتبعـوا طريـق الـرَّب مـا كان الخـراب ليعمَّنـا.

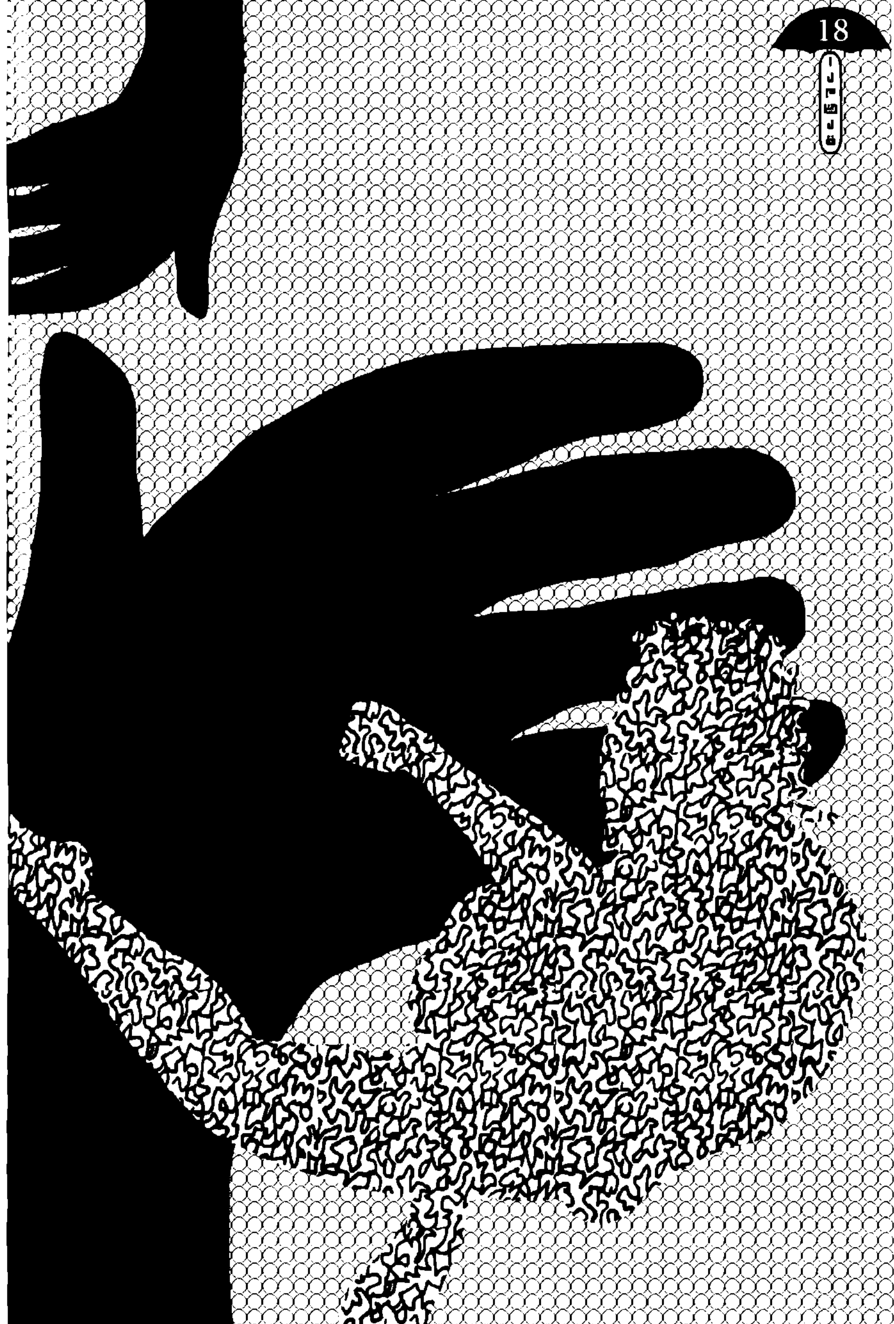


(يعـود لهدوئـه، يجلـس كأنـه يصـلي أو يمـارس نوعًـا مـن أنـواع اليوغـا والتأمـل)
المحبـة، الله هـو المحبـة، ومـا يحتاجـه النـاس في هـذا العالـم الـذي أفـرز صـدأ الكراهيـة سـوى جرعـة مـن المحبـة، والمحبـة تعـني مشـاركتي لمظلـتي مـع مـن يحتـاج، وأنـا مسـتعد لهـذا، لكـن لا أحـد في هـذا الكـون أو مـا تبقـى منـه يصـدق أن الجـو عاصـف. لا أحـد يريـد الاحتمـاء بسـترها الوافـر!
(يـوازي علـيّ سـبابتيه واحـدة فـوق الأخـرى ويـشرع في إدارتهمـا تعبـيرًا عـن حالـة مـن الـلا مُبـالاة)
لا يهـم... أنـا أيضًـا لـم أعـد أهتـم لأحـد، فمـن ذا الـذي يهتـم لي؟ أو حـتى يلقـي علـيَّ بإطـراء عابـر مُسـتحَق.


16



(يقف، ينفض ملابسه، ويعدل من وقفته كأنه سيُلقي كلامًا مهمًّا)
هناك أمور كثيرة تستحق الإطراء.
سجل عندك مثلًا تسريحة شعري.
(يمرر يده على شعره الأشعث كأنه يتحسَّس تسريحة باذخة الترتيب)
لقد كلَّفني حرصي على لقاء العالم البشع بشعرٍ مرتَّب ساعةً من الصراع مع المرآة.



(تـدق صافـرة حلبـات المصارعـة فيـشرع عليّ في تمريـر يـده عـلى رأسـه بطريقـة عنيفة)

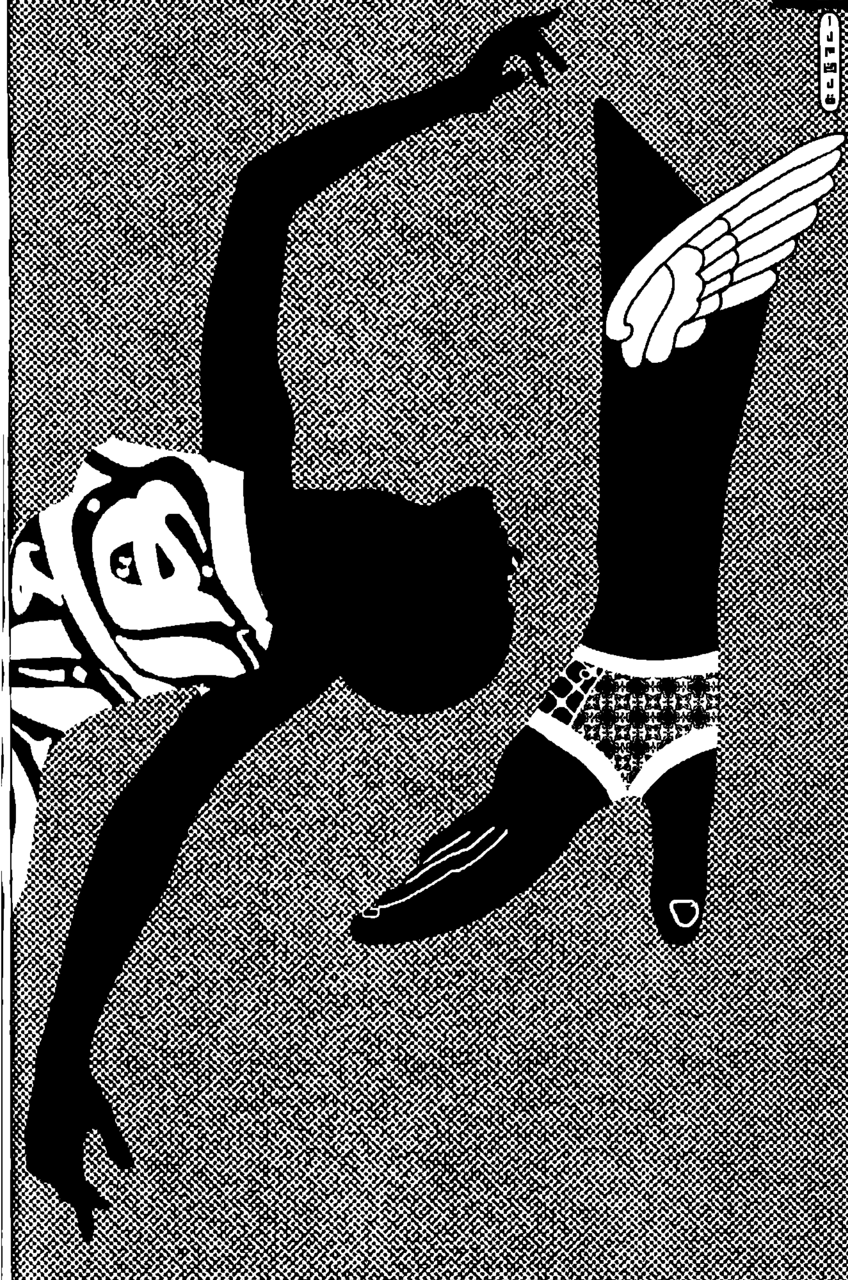
هكـذا، نعـم هكـذا، لا لا قلـت هكـذا، أيهـا الشَّـعر الأجعـد تملـس. قلـت لـك تملـس، هكـذا نعـم هكـذا.

(يرتمـي عـلى بطنـه ويـشرع في العـدّ عـلى طريقـة حـكام المصارعـة)

واحد اثنان ثلاثة.

(تدق الصافرة مجددًا)

لقـد فـزت، لقـد انتـصرت عليـك أيتهـا المـرآة اللعينـة، وهـا هـي تسريحـة شـعري الرائعـة مسـتعدة لتكـون جـواز مـرور إلى قلـوب مـن تبقـى مـن سـيدات الأرض.



(صـوت صفـير المعاكسـات، ووقـع كعـب نسـائي، يمـشي عـليّ مختـالًا ويمـرر نظـره باتجـاه صـوت الكعـب كأنـه يلاحـق جسـد امـرأة، يطلـق ضحكـة ماجنـة ثـم يتوقـف)
الجميـلات أو مـن تبقَّـى منهـن في هـذا الكـون الخـرب يكبـتن انجذابهـن إليَّ، يرونـني بعيـد المنـال. أمـا أنـا فمشـتاق إلى ذراع تطـوق ذراعـي بضعـف، ورأس حنـون يُدفـن في عمـق كتفـي، يحتمـي بي مـن المطـر.
(يرفـع رأسـه بغضـب نحـو المظلـة)
هـذه المظلـة لـم تعـرف ظـلًّا غـيري، لقـد حفظـت تفاصيـل جسـدي قطعـةً قطعـةً، أظنهـا ملَّتـني وتريـد التخلُّـص مـني.



(يهمس كأنه يعترف بسر)

أنــا أيضــا أشــعر أحيانــا بالملــل مــن حملهــا، لكأنهــا أصبحــت امتــدادًا لقبضــتي! يــا للعجــب، يــا للســخرية، أتعــرف أيهــا العالــم أو مــا تبقــى منــك مــا الــذي يــدور بخُلــدي الآن؟ أتخيلُــني نجمًــا تتهافــت عليــه برامــج الغرائــب في أشــهر القنــوات مــن أجــل الظفــر بســبقٍ حــصريٍّ عــن حالــتي.



(يعتـدل في وقفتـه ليـؤدي دور المذيـع المحـاور، يغلـق المظلـة ويحولهـا إلى ميكروفـون)

-السـيد عـلي، هـل تعلـم أن حالتـك نـادرة جـدًّا؟

(بلهجة متكلفة)

-نعم أعرف بالطبع.

-مع هذا لا تبدو خائفًا من العملية؟

-لا... **(يتفاجأ)** عملية؟ أيّ عملية؟

-عمليـة فصلـك عـن المظلـة، لقـد أصبحـت عمليـات الفصـل مضمونـة في حالـة التوائـم السـيامية، أمـا في حالتـك فنسـبة النجـاح غـير معروفـة.

(يسـتفيق عـليّ مـن الحـوار مرتعبًـا، يتمسَّـك بالمظلـة بكلتـا يديـه)



-لا، لا، مستحيل، لا أريد، لا أريد أن أفصل عنها، لا! إنها ليست توأمي، إنها قطعة مني، إذا ما فصلتموها عني ستضمر وتموت، لن تمنحوها حياةً أخرى، ولا أنا سأحيا بعدها.

(يتساءل بطريقة متشكِّكة فيما سيقوله)

ما المعيب في شكلي؟ أنا أراه لطيفًا. في أوقات كثيرة افترضت أني سأكون البطل الخارق الجديد في ما تبقى من أطلال هذا الكون.



(يستعيد السيطرة على نبرة صوته، ويتكلم بثقة أكبر)

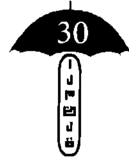
ما المعيب في لقب الرجل المظلة UMBRELLAMAN؟ لن أكون أقل قدرًا من بقية الأبطال الخارقين، زملائي في إصلاح أعطاب هذا الكون المتداعي.

(في هذه اللحظة تنزل مجموعة من المظلات من السقف لتستقر على ارتفاعات مختلفة، أقربها على بُعد بقدر يصل إليه عليٌّ لو قفز مادًّا ذراعه، يقوم بحركات قتاليّة باستخدام المظلة كسيفٍ أو عصا)

رجل يدافع ويهاجم بمظلته.

(يفتح المظلّة ويختبئ تحتَها من زخَّات إضاءة تقع عليها من أكثر من مكان، تصاحبها أصوات قصف ورصاص)

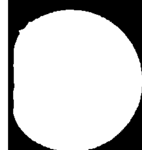




يحتمي بها من الرصاص والصواعق. فكرة لا بأس بها. حينها ربما سيقتنع الجميع أن لهذه المظلة فائدة، وأنه مهما حموا رؤوسهم فإنهم سيظلون بحاجة إليها دومًا.

(يُقهقه بطريقة من يشعر بعقدة التفوق)

لا يستغني عنها أحد مهما علت رُتبته. تتوقف سيارة الملكة اليزابيث في يوم ماطر أمام قصر باكنغهام، يفتح الباب وقبل أن تطأ رجلاها الأرض الندية، تفتح مظلتها اتقاءً للزخات الرقيقة، إنها إليزابيث يا جماعة، مع هذا فالمظلة بالنسبة لها ضرورية، تمامًا كما هي ضرورية بالنسبة لي...



(بلهجة مَن استنتج أمرًا مهمًّا)

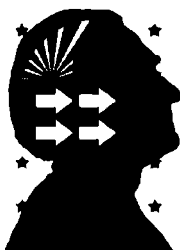
هذا يعني أنني أنا والملكة إليزابيث...؟

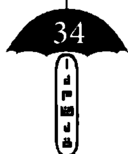
(يضحك ببلاهة)

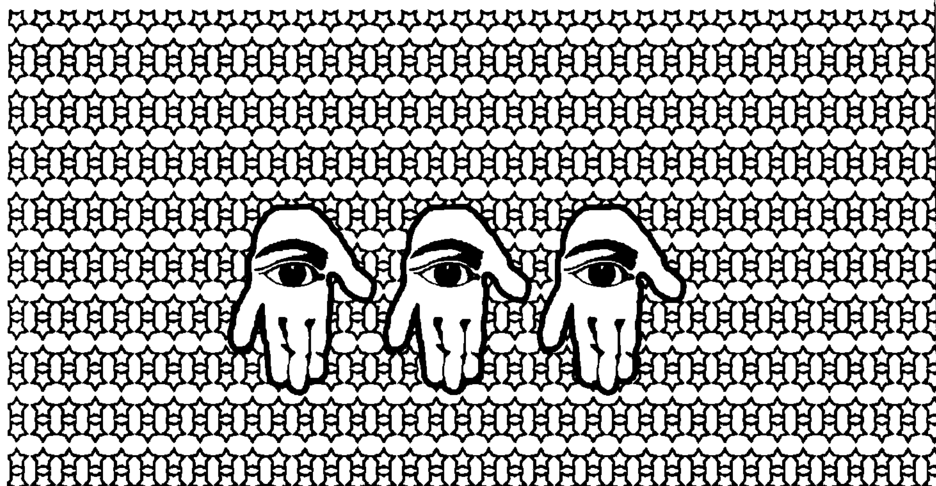
لا، لا، طبعًا لا وجه للمقارنة بيني وبين الملكة إليزابيث، أو على الأقل بين مظلتي الحقيرة ومظلتها الملكية، رغم أنهما تؤديان نفس الوظيفة. ولو أنني تجرأتُ يومًا على الخروج في يومٍ ماطرٍ دون مظلَّة، لابتلَّت ملابسي وضاعت هيبتي، وأصبح شكلي شبيهًا بسمكةٍ أُخرِجَت من مائها، ترتعش ارتعاشة ما قبل الرحيل.

(يتذكر أمرًا ما)

على ذكر السمك، لست أتذكر آخر مرة أكلت فيها سمكًا. لقد نسيت مذاقه وكدت أنسى شكله. بلى، بلى، أتذكر، كان ذلك في عاشوراء.







(يقف عليّ وراء أحد الأسوار المتداعية)

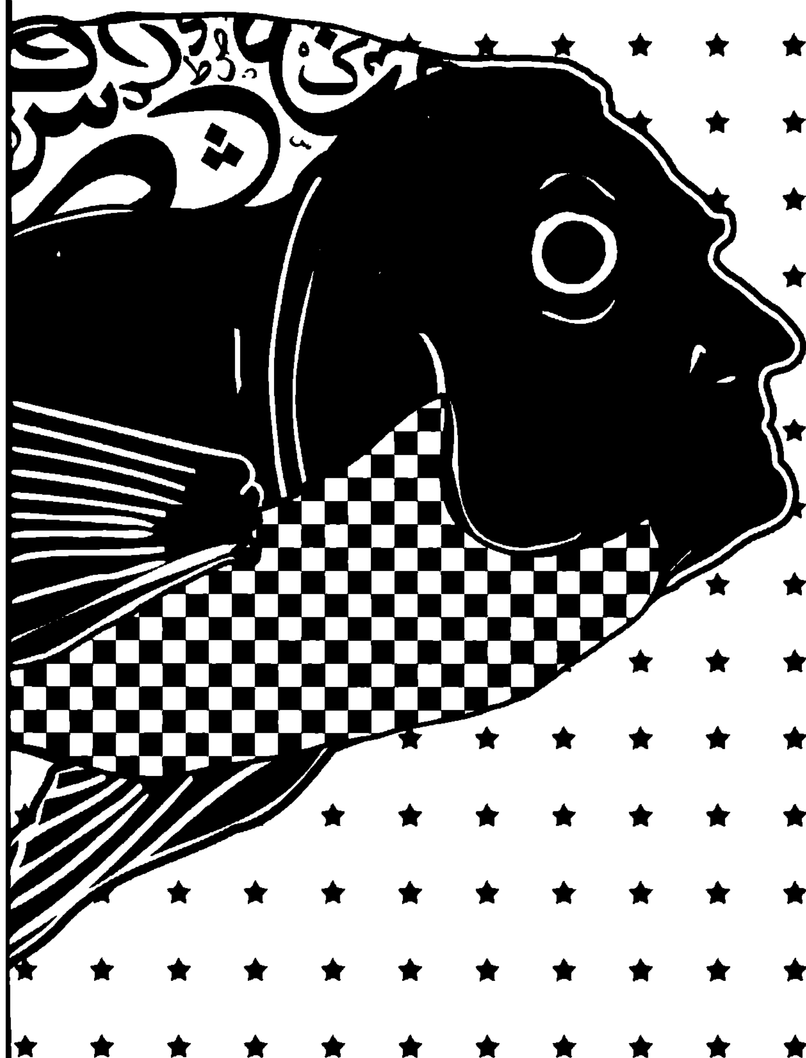
كنت أقف وراء المبنى الأخير في هذا الكون العطب، أتلصَّص على مسيرة لم أفهمها. كنت أسترق النظر بعينين ذاهلتين، مأخوذًا بالصراخ المكتوم المتحرِّر من حناجر مُتعبة، وجَّهت مظلتي باتجاه الشارع اتقاءً لصدمة صوتية عنيفة مُباغتة حينما لكزتني يدٌ غليظةٌ.

(يستدير بخوف وبأنفاس متقطعة)

استدرت بنَفَسٍ مقطوع لأجد شيخًا برأس مشجوج، ووجه بلا ملامح يشير لي بأن أتبعه.

(يمشي بتردد كأنه يتبع شخصا ما لا يرغب في متابعته)

فعلت ولست أدري ما الذي كان بانتظاري بعد ذلك المظهر، قادني إلى زاوية بعيدة وأمرني بالجلوس ففعلت.



(يجلس مادًّا رأسه كأنه ينتظر شخصًا ما)

غاب بضع لحظات ليعود بطعام لا أعرفه، كل ما تمكَّنت من التعرُّف عليه هو الأسماك المتزاحمة على قمته. سألني عن اسمي فأجبتُ: عليّ. تهلَّل وجهُه وأبشر وأعلن عن حياة كنت أظنها انمحت.

(يتحسَّس رقبته)

خلع من رقبته كوفية مخضبة بالدم ولفَّها على رقبتي برفق. طعمت يومها بحذر ويا ليتني لم أحاذر.

(بحسرة)

حينما أقول إني نسيت طعم السمك فهذا لأني لم آكله يومها، أقصد أني ازدردته. كنت ألقيه في جوفي مباشرةً من صدمة المجهول الذي ينتظرني،



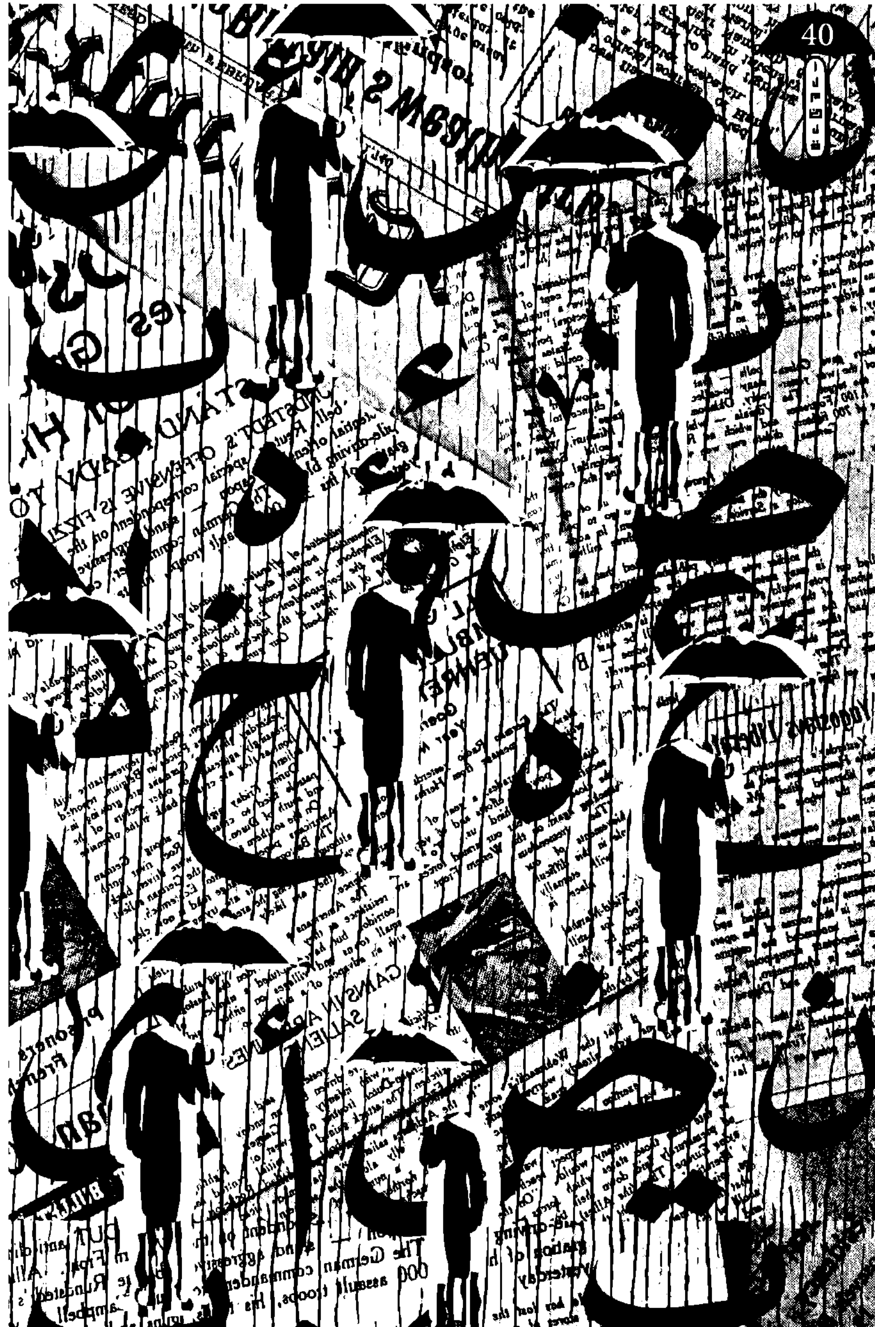
وكان هـذا المجهـول هـو مبلـغ مـن المـال دسَّـه العجـوز في جيـبي حينمـا قـادني إلى مـكاني الأول مودِّعـا بالقـول: انتبـه لنفسـك. كنـت ذاهـلًا ولـم أفـق إلا حينمـا زعـق، قبـل أن يسـتدير ليغيـب عـن نظـري وسـط الحشـود. كرهـت السـمك بعدهـا ولـم أتناولـه قـط.

(يضـع يـده في جيـب سرواله ويخرجـه فارغًـا)

أمـا النقود التي دسَّـها الشـيخ في جيبي فاشـتريت بهـا هـذه المظلـة لأن مظلـتي القديمـة كانـت أشـبه بشـبكة عنكبـوت مـن كـثرة ثقوبهـا. لقـد حاولـت ترقيعهـا. كنـت مـن البلاهـة بمـكان لدرجـة التفكـير أنـه بإمـكاني خياطـة مظلـة، الخياطـة تعـني أن أمـرر عـلى نسـيجها الإبـرة مـرات ومـرات، وهـذا يعـني أني سـأحدث بهـا المزيـد مـن الثقوب، الحـال غير قابـل للإصلاح.

(يتحسَّس وجهه)

العطار لا يصلح ما أفسده الدهر، فالزمن يحفر أخاديده على كل شيء، على الوجوه والنفوس. نعم، النفوس أيضًا تشيخ، فأنا هرم من الداخل. لا يُغريك جسدي الشاب أيها الكون، فروحي طاعنةٌ في الألم. وما من أنيس لي في وجودي سوى مظلة ملآنة بالثقوب. خير جليس في الأنام مظلة. كتاب؟ من قال إن الكتاب هو خير جليس؟ أنت؟



(يشير في الفضاء إلى جهة غير واضحة)
أنت؟ ماذا؟ تقول عني جاهل؟ أنا أقرأ يا عزيزي. على الدوام، أنا أؤمن تمامًا بتشبيه العقل بالمظلة، نعم العقل كالمظلة لا يشتغل إلا وهو مفتوح.
(يغلق المظلة ويفتحها ببطء)
تفتُّح العقل لا يتم إلا عن طريق القراءة، لهذا أنا أقرأ حتى يشتغل عقلي. أعترف أني لم أقرأ كتابًا منذ فترة لم أعد أذكرها، لكن الذنب ليس ذنبي، فالكتب أصبحت سلعة نادرة في هذا الكون. الكتب أول ما يتعرض للوأد والإحراق والإغراق في الأنهار منذ الأزل. لهذا اكتفيت بقراءة الصحف اليومية. صحيح أنني لا أتابعها أولًا بأول، لكني أقرأ كل ما يقع تحت يدي.



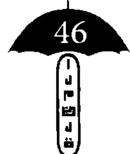
(تهـب ريح مـن جوانـب المسرح تحمـل أوراق جرائـد فيتمسَّـك عـليّ بمظلّتـه بينمـا يحـاول التقاطهـا، يمسـك بواحـدة منهـا ويقـرأ)
تدشـين رسـمي لمـزار مـولاي «أبـو بغلـة».
(يُطلـق عـليّ الجريـدة فتذروهـا الريـاح)
رائـع، أخـيرًا تـم افتتـاح مـزار مـولاي سـيدي «أبـو بغلـة»، هـذا المـزار الـذي تتـم تهيئتـه منـذ أكـثر مـن **50** سـنة، يقـال إن لعنـة الشـيخ مـولاي سـيدي «أبـو بغلـة» سـتُصيب كل مـن كان سـببًا في تأخـير الأشـغال.
(يضحـك حـتى يسـتلقي عـلى ظهـره)
نعـم اللعنـة واضحـة عـلى المقاولـين الذيـن توالـوا عـلى المـشروع. فـالأول أصبـح مليارديـرًا قبـل أن يُسـحب منـه المـشروع ليسـلم للثـاني الـذي أصبـح بـدوره مليارديـرًا، قبـل أن

يُسحب منه المشروع ويسلم للثالث الذي أصبح بدوره مليارديرًا، وهكذا..

(يتوقف تدريجيًّا عن الضحك، يلتقط أنفاسه ثم يواصل الحديث)

لعنة المليارات حلَّت بكل من استلم زمام إدارة هذا المشروع، قبل أن ينتهي به الحال بيد الشعب الذي تولَّى بنفسه ترميمه وإصلاحه. تقريبًا دون لعنات، سوى إصابته بمزيد من الفقر بعد أن استهلك سكان القرية مدخراتهم على اللا شيء.

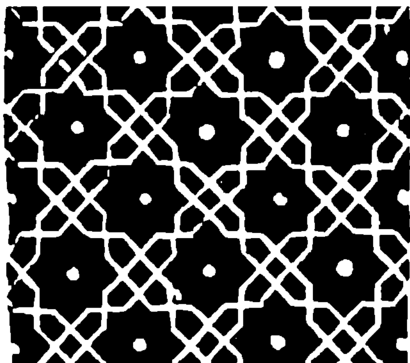
(يضع المظلّة جانبًا، يعدل من وقفته المتهدّلة يلوّح بيده في السّماء مُحيِّيًا جموعًا وهميةً، قبل أن يمد يده ويشكِّل بإصبعه الأوسط وسبابته مقصًّا كأنه يقص شريطًا تذكاريًّا، ينطلق صوت تصفيق فيلوح


46



مجـدـدًا بيـده في السـماء مُحيِّيًـا الجمـوع الـتي يســمع صــوت هتافهــا، يتقــدّم إلى جانــب الخشـبة كأنـه يرتقـي منصـةً لتقديـم كلمـة)

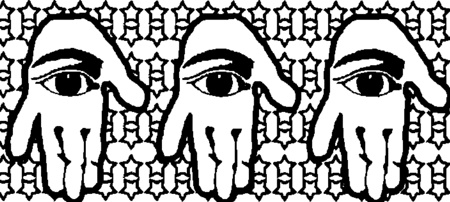
أصالــةً عــن نفــسي ونيابــةً عــن الســلطات العموميــة، أشــكر كل مــن ســاهم مــن مســئولين ومشرفــين وعمَّــال، كل مــن ســهر الليــالي الطــوال ليتحقــق هــذا الحلــم، حلــم بنــاء مــزار يليــق بشــخصية عظيمــة مثــل شــخصية الشــيخ «أبــو بغلــة»، لــن ننــسى جهودكــم في الحفــاظ عــلى مــيراث أمتنــا.

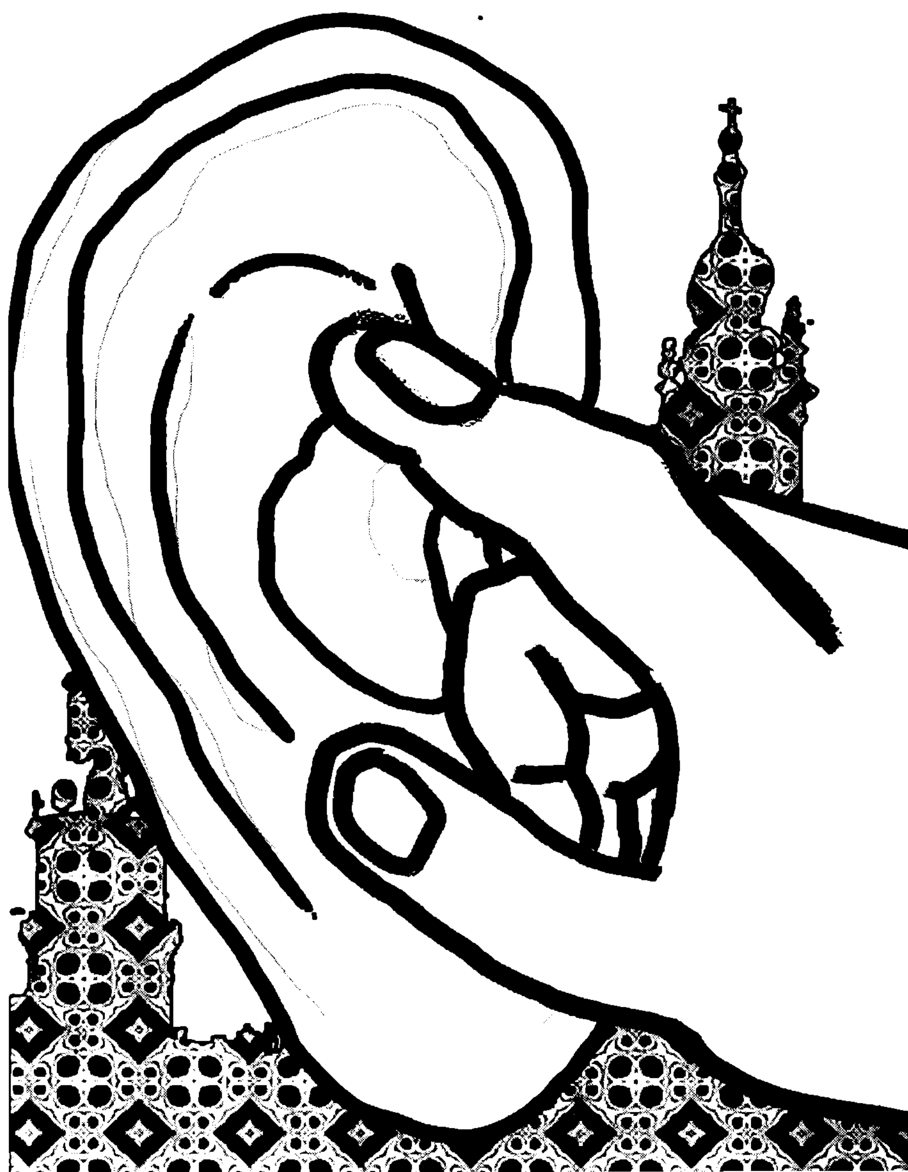






(يتراجع علي إلى الوراء ويصرخ)

عـن أي جهـود تتحـدث؟ هـاه؟ عـن أي مـيراث تتحـدث؟ عـن أي شـيخ تتحـدث؟ مـن يكـون «أبـو بغلـة» هـذا أصـلًا ليسـتحق مـزارًا أو حـتى حفـرة تـواري جثتـه؟ ألـم تسـمع عـن الروايـات الـتي تقـول إن شـيخك «أبـو بغلـة» هـذا لـم يـك شـيئًا، وأنـه كمـا يـدل اسـمه عليـه مجـرد بغـل مـات وهـو عـلى ود مـع صاحبـه، فدفنـه وبـنى لـه قـبرًا قبـل أن يتحـول القـبر إلى مـزار، والبغـل إلى ولي صالـح تنحـر عـلى شـاهدته الذبائـح، وتتوسَّـل بـه العانـس والعاقـر، ويسـمح قربـه للغـلاظ الشـداد بالعويـل دون السـخرية مـن هـدر رجولتهـم؟







(يبكي.. يمسح دموعه)

لا أدري مـع مـن وكيـف ومـتى أنجـب هـذا النسـل اليأجوجـي الفاسـد المفسـد، لكنـه ترك حجـارة في العقـول، عقـول متحجـرة لا تفتـح، والعقـول مظلات لا تشـتغل إلا وهـي مفتوحة!

(يضـع يـده عـلى أذنـه ويصيـخ السـمع لصـوت مجهـول)

الصوت:

الطاعون... إنه الطاعون!











(يردد عليّ الصوت)

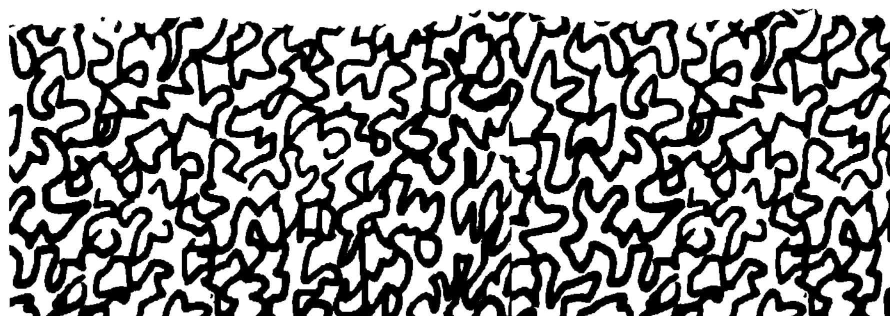
الطاعـون... الطاعـون؟ الطاعـون مـرض منقـرض، حـتى كليـات الطـب لـم تعُد تدرسـه. أهـا أنـت تقصـد الفنـاء ربمـا. تقصـد أن المـوت مـسَّ الجميـع إلَّاي. تقصـد أني الناجـي الوحيـد، وأمـل هـذا الكـون المتهالـك في إنقاذه مـن الخـراب؟ تريـد أن تعـرف كيـف نجـوت؟

(يمسـك مظلّتـه يضعهـا فـوق رأسـه ينظـر يمينًـا وشـمالًا ويهمـس)

نجـوت لأني محمـيّ... محمـيٌّ تمامًـا... يُقال إن أحسـن طريقـة للدفـاع هـي الهجـوم لهـذا لم أكتـف بدفـن رأسي تحـت مظلـتي. تعلَّمـت أن أقفـز عـلى جثـث الآخريـن، وأنـا أدس يـدي في جيوبهـم. أن أعتـبر مـوت الآخـر سـبيلًا لبقـائي.



لـم أشـارك يومًـا في قتـل تحـت أي مسـمى، حـرب، جهـاد، قصـاص. لـم أتـورط في دمـاء بحـق أو دونـه. لكـني كنـت في قـرارة نفـسي أتمـنى المزيـد مـن هـذا الطاعـون الـذي يفتـك بالجميـع، أتمنـاه لأسـتمر أنـا في العيـش هنـا، في هـذا الخـراب المقيـم.



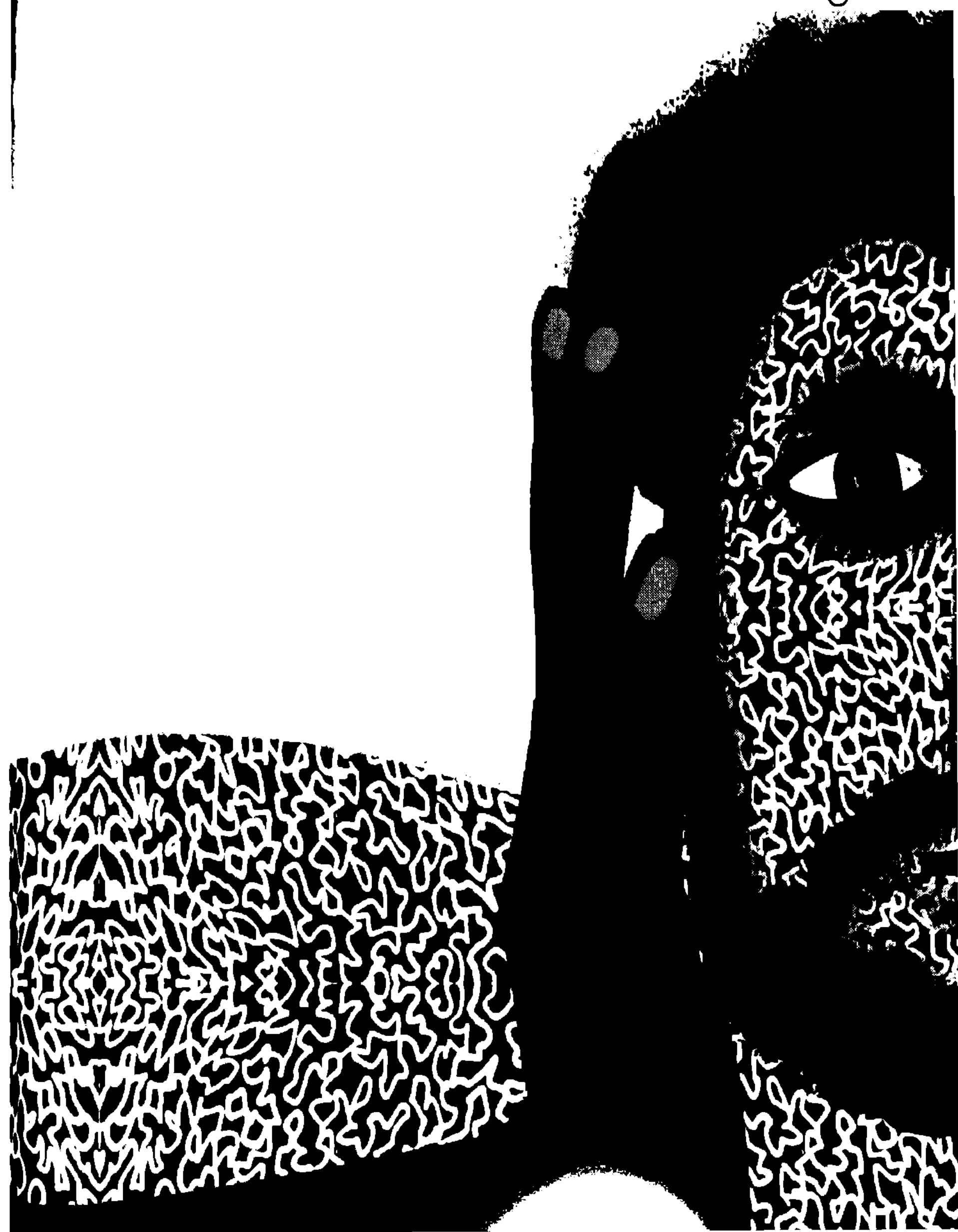


(يستخرج علي من جيب السترة بطاقة شخصية، ينظر إليها)

عليّ ليس اسمي، أقصد أني لم أولد عليًّا، بل هو اسم اخترته من مجموعة أسماء أتيح لي أن أرث أصحابها. هذه البذلة اللعينة ليست لي. إنها لشخص فجَّرتْ رأسَه رصاصةُ قنَّاصٍ. لم أعتد يومًا أن أمدَّ يدي إلى ملك الآخر. على كل حال لم أكن لئيمًا معه تمامًا. دفنته بيدي مثلما دفنت من سبقوه.

(يتحسس عليّ البذلة)

وجدت أن البذلة بحال جيدة فلبستها. لبستها ولبست معها شخصًا لستُ أعرفه. أنا أحاول أن أعرف من يكون «عليّ ابن أبيه»، هذا الذي كان يلبس بذلة ويمشي في زقاق مفتوح على الخراب، من أين أتى



وما الـذي أتى بـه إلى حيـث لا أحـد يتمـنَّى أن يكـون؟ «عـليّ ابـن أبيـه»، قـرأت الاسـم عـلى بطاقتـه الشـخصية، وجـدت أن الاسـم مناسـبٌ لي فسـمَّيت نفـسي بـه. الأمـر لا يهـم بـأي حـال مـن الأحـوال. فمـن ذا الـذي سـأقابله هنـا ويسـألني عـن اسـمي؟ تحسـدونني عـلى بذلـة ورثتهـا عـن «عـلي ابـن أبيـه»؟ عـلى الأقـل واريـت جثتـه الـتراب ولـم أتركهـا لـك أيتهـا الـكلاب لتنهـشي لحمـه. مـن حقـي أن أرثـه، وإن لـم أفعـل فمـن سـيفعل؟



(ينزع عليّ البذلة بعنف ويرميها على الأرض، فيظهر جسده مُغطًّى بأسمال بالية)

على كل حال. أنا لست بحاجة إلى بذلة، لست بحاجة إلى أن أتأنق، لست بحاجة إلى مرآة، هنا لن تراني سوى هذه الأطلال.

(يشرع علي في انتزاع المظلات المعلَّقة ورميها على الأرض)

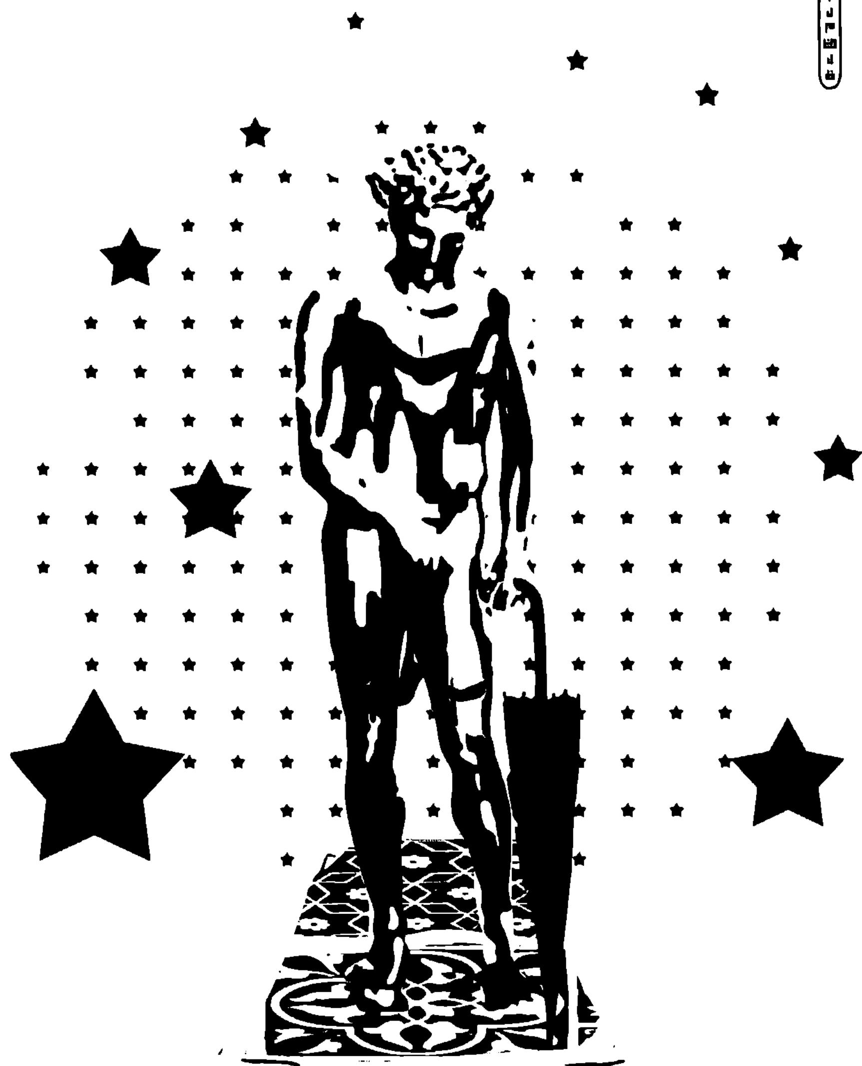
حتى هذه المظلات، هذه وهذه وهذه أيضًا. لا فائدة تُرتجى منها. واهمٌ كلُّ من يظن أن مظلات صغيرة حقيرة كهذه ستحمي رأسه من المجهول، وأنا أولهم. أنا أول الواهمين في هذا الكون العطب. أنا لستُ محميًّا. لستُ محميًّا أبدًا، وما وجودي هنا إلا دليل على قلة حيلتي. لو كنتُ محميًّا لبقيتُ حيثُ كنتُ. حيثُ لا أحد يسألني عن اسمي، لا أحد يفترض غناي



أو فقـري مـن ملبـسي، ولا أحـد يحاسـبني عـلى جـرمٍ لـم أقترفـه.

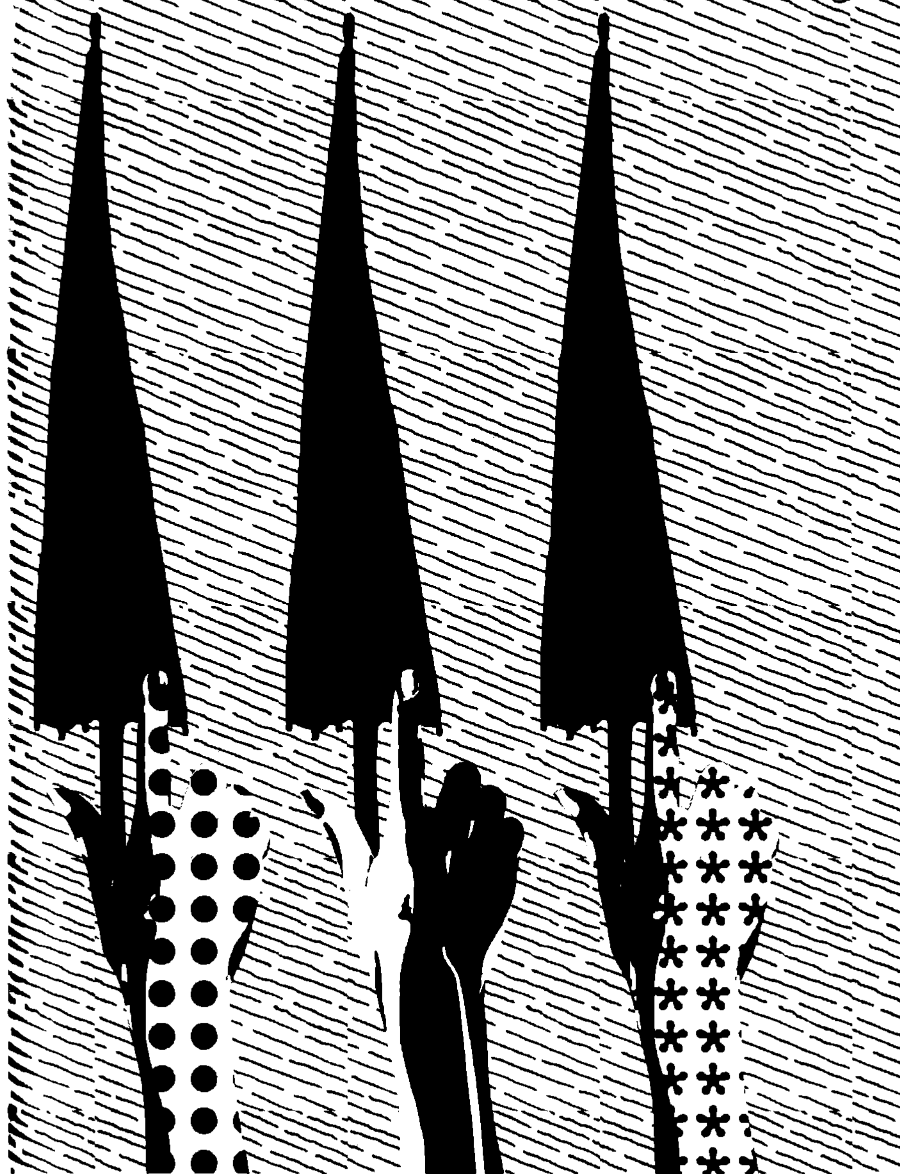
(يــركل عــليّ البذلــة، يــركل المظــلات مــن حولــه)

كل هــذا مــن أجــل بذلــة؟ لــم أكــن طماعًــا حــين لبســتها سـيدي القـاضي، أنــت لا تعــرف يـا صاحـب الـرداء الأسـود أن الغريـق يتعلَّـق بقشَّــة، وأن الجائــع لا يعــاف أكل فضلاتــه، وأن العـاري يـواري سـوأته بـورق التـوت، وأن الــبردان مســتعد لأن يلــف نفســه بكفــن.



(يقف عليّ مرتعشًا)

نعـم لبسـتها لا لأنهـا أنيقـة، بـل لأني كنـت أشـعر بالـبرد. أيـن كنـت حينهـا؟ خـذ هـذه المظلة احتفظ بها. حينما تسقط أول طائـرة تسـتقلها سـتتذكرني حينمـا تفتحهـا طمعًـا بالنجـاة. حينهـا فقـط سـتعرف أنـك لسـت معصومًـا، لسـت معصومًـا أبـدًا. سـتختبر كيـف أن رداءك لـن يتحـول إلى براشـوت، وأنـك لـن تـنزل عـلى الأرض كَريشـةٍ. سأسـمعُ صـوتَ ارتطامـك بـالأرض مـن مرقـدي، وسـأبعث حينهـا لأجـرِّدك مـن لباسـك هـذا لألبسـه وأحاكمـك كمـا تفعـل الآن بي. سـأكون رحيمًـا بـك، سـأكتفي بخصيـك، وحينمـا يـأتي وقـت تنفيـذ الحكـم سـيُلغَى لأنـك مخـصيّ أصـلًا. أنـت تعمـى عـن الجميـع إلّاي. لا بـأس.



(يهـرب عــليّ إلى الخلفيــة، يختــبئ وراء مظلّــة ويطــل مــن ورائهــا يحمــل مظلــةً مغلقــةً كأنــه يحمــل ســلاحًا)

سـأطلق النار على من يقـترب مني، إني أحذركم!

(صــوت رصــاص، ينتــشر دخــان عــلى الخشــبة، ثــم ينطلــق صــوتٌ إذاعــيٌّ)

هــذا وبلغنــا أن «ســعيد ابــن أمــه» قــد هــدَّد بالانتحــار باســتخدام ســلاح اتضــح أنــه مظلّــة مـن الحجـم الصغـير. وقـد حاولـت السُّـلطات التفــاوض معــه وتنفيــذ كل مطالبــه، إلا أنــه ســخر منهــا بالادعــاء أن مطلبــه الوحيــد هــو توفـير مظلّـة للعالـم بحجـم الكـرة الأرضيـة!

إظلام

يوسف بعلوج

المظلّة

ما المعيب في لقب الرجل المظلة

UMBRELLAMAN؟

لن أكون أقل قدراً من بقية الأبطال الخارقين، زملائي في إصلاح أعطاب هذا الكون المتداعي. رجل يدافع ويهاجم بمظلته، يحتمي بها من الرصاص والصواعق.
فكرة لا بأس بها. حينها ربما سيقتنع الجميع أن لهذه المظلة فائدة، وأنه مهما حموا رؤوسهم فإنهم سيظلون بحاجة إليها دوما.

يوسف بعلوج

كاتب من الجزائر

أصدر عدة عناوين في الشعر والمسرح وأدب الطفل
فائز بعدة جوائز أدبية

جائزة الشارقة للإبداع العربي في أدب الطفل ٢٠١٢ عن نص "إنقاذ الفزّاعة".

الجائزة العربية "نادي الخيّام" لقصص الأطفال ٢٠١٣ عن نص "حصالة علي".

جائزة رئيس الجمهورية في المسرح ٢٠١٤ عن نص "سأطير يوما ما".

الجائزة الوطنية "فنون وثقافة" في القصة ٢٠١٤ عن نص "جراب الولي".

جائزة المهرجان الدولي للأدب وكتاب الشباب في القصة ٢٠١٥ عن نص "الوعدة".

"جائزة العودة" الدولية لقصص الأطفال ٢٠١٥ عن نص "خاتم ناني السحري".



